البعث

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾

(التوبة الآية ٣٠)

* * *

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة الآية ٢٥٩)

* * *

جاءَت الأديان كلها تؤيد عقيدة البعث ، وأن هنالك حياة أخرى بعد الموت ، وتخلَّف عن هذه العقيدة آراء كثيرة ، فبعضٌ يُنكرها ويستبعدها .وبعضٌ يصدِّق ، ولكنه متحيِّر فى كيف يكون البعث من القبور ؟

وناس يقولون : إن حياتنا هذه من فِعْل الطبيعة ، وما حياتُنا إلا مِنْ أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا شىء بعد ذلك .

وناس اختلفوا فى البعث ، فقال أهل السنة : نُحشرُ بأجسادنا وأرواحنا .

وتصدَّى علماءُ الطبيعة لهؤلاء الناس ، قالوا : إن المادة لا تفنى ، ولا تنقص ولا تزيد . وأن أجسام الأجيال ؛ تتداخل فى تركيب أجسام الأجيال .

فكيف تعذَّب الذرة من جسم العاصى ، إذا مات ، وتداخلتْ فى جسم المؤمن الصالح ؟

وناسٌ قالوا إن البعث بالأرواح ، فهى تنعمُ وتشقى ، والجسد وعاءٌ دنيوى دانى .

وصراع بين الآراء فى الجنة والنار ، وهل هما موجودتان الآن ؟ أم سيخلقهما الله يوم القيامة ؟

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾

(آل عمران الآية ١٣٣)

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(الحديد الآية ٢١)

وإذا كانتا موجودتين الآن ، فهل نحن فى حياتنا هذه نسعد ونشقى فى جنة ونار ؟ وكثير . وكثير .

كل هذا ، مبعثه عقيدة البعث بعد الموت ، والنشور من القبور .

وهذه العقيدة ، نؤمن بها ، ونُرسِّخها فى قلوبنا ، سماعًا من الأديان .

فهى غيب ، والغيب لله .

وهذه العقيدة حيَّرت سيدنا إبراهيم ، خليل الله ، إذ قال :

﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾

(البقرة الآية ٢٦٠)

وهذه العقيدة ، حيرت صاحبنا هذا

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

(البقرة الآية ٢٥٩)

وسواء أكان هو عزيرٌ ، الذى قالت عنه اليهود : إنه ابن الله .

أم كان الخضر صاحب موسى عليه السلام ، أم كان نبيًّا ، أم ملكا ، هذا ، أو ذاك ،فهو بلا شك إنسان من الناس ، مرَّ على بيت المقدس . بعد أن خرَّبها بختنصر .

فأزعجه منظر الخراب والتدمير ، وحزَّ فى نفسه ، أن يأتى الخراب فى لحظات ، على ما يبذله الناس فى التعمير ، مئات السنين .

وعملت فى رأسه نظرية تداعى المعانى ، وتزاحمت الخواطر والأطياف ، وجرَّت فكرةٌ فكرة وهذه استتبعت أفكارًا وأفكارًا ، حتى وصل فى تفكيره إلى الخلائق من إنس ومن جان . فى أيام آدم ، ومن بعده نوح ، وإبراهيم ويعقوب ، وداود وسليمان ، وفى الأجيال والأجيال مدى عمر الزمان وإلى أين يذهبون ! وكيف يبعثون ويحشرون !

وما الموقف العظيم الذى يضم هؤلاء وهؤلاء ؟

ثم التفت إلى نفسه ، وسألها : أليست هذه الظاهرة ؛ حلقة من سلسلة الحياة ؟

والرجل وحده ، واقف يشوف على هذا الخراب فى القرية ،ويكدُّ ذهنه فى التفكير ، وفى التقدير ، أيئول العالم كله فى آخر الشوط مثل ما رأى ؟

وتطاول خياله ، أن يتصور قدرة الله التى تحيط بهذا العالم الخراب يوم القيامة . فأرهقه التفكير ؛ فنزل عن حماره ، يمسح عرقه ، ويستروح فى ظل جدار فأخذته سنة من النوْم ، وأماته الله ، فنام مائة عام !

وبعد مائة عام ، بعثه الله ،وأيقظه فصحا ، وتلفت فوجد طعامه وشرابه لم يتغيَّر ، ونظر فى جسمه فوجده سليمًا معافى لم يمسه سوءٌ .

فناداه مَلَك من ملائكة الله

﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾

(البقرة الآية ٢٥٩)

فى نومك هذا !

ففتح عينيه ، وتذكر أنه كان يناجى نفسه على أطلال هذه القرية ضحوة النهار ،وهو الآن فى وقت الأصيل

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾

(البقرة الآية ٢٥٩)

قال له المَلك : لا يا هذا

﴿ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾

(البقرة الآية ٢٥٩)

فأخذه العجب من كلام الملك ، وكاد يعلن أن هذا قول يحتاج إلى دليل وبرهان . فعاجله الملك ، وأمره أن ينظر ثلاث نظرات :

أولاها أن تنظر فى طعامك وشرابك ، فإنه لم يتغير ، والتحفظ عليه بقدرة الله ،والثانية أن تنظر إلى حمارك ، كيف مات ، وبَلِى لحمه ، وتفكك عظمه .

وأننا سنجعلك آية ناطقة على قدرتنا ، وليعلم الناس حين يعرفون خبرك أننا قادرون على بعثهم كما بعثناك .

والثالثة : أن تنظر إلى هذه العظام ، كيف نُنْشِزُها ، وننشُرها ، ونعيد تركيبها .

وكيف نكسوها لحمًا كأول ما بدأ ، فركبه صاحبه ، ودخل المدينة ، ودخل بيته ، فوجد ذريته وأحفاده شيوخًا وهو على حاله لم تتقدم به سنه .

فأنكروه ، وعجبوا أن يعود أبوهم على حاله يوم غاب ، لم يتغير شكله ، ولم يتقوس ظهره ، وقد حسبوه مات منذ غاب ، ونسيه الناس ، وفات على انقطاعه مائة عام . فكيف به يعود ! إن هذا لشيء عجيب .

وسألوه ، فحدثهم حديثًا عمره مائة عام .

وأسمعهم التوراة ، وما كان يحفظها غيره .

ودلهم على أسرار بنيه وبنيهم ، ومعالم فى دارهم ، ما يكشف سرها غيره . فآمنوا ببعثه ، وآمنوا بأن الله قادر على أن يبعث الموتى .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ ﴾ (البقرة الآية ٢٥٩)

اعلمى يا نفسى ، فأنا

﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة الآية ٢٥٩)

ومن أجل هذا ، حدثتْ رجَّةٌ فى الناس ، وهزَّةٌ فى عقائدهم ، وأخذتهم رجْفَةٌ من قدرة الله .

وبنو إسرائيل ، قوم متطرِّفون .

فإن آمنوا أغرقوا فى الإيمان . وإنْ كفروا ، فجروا ، وطَغَوْا وفسقوا وأسَفُّوا فى العصيان .

* * *

وتلك هى الطبائع الرجراجة ، كالعجينة تشكِّلها ظروفها ، فمرة فارس ، ومرة حصان ،

وهم كذلك ، وحين هالهم بعث صاحبهم عزير بعد أن أماته الله مائة عام ، قالوا : لابد أن يكون مكرمًا عند الله ، بل لابد أن يكون ابن الله .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾

(التوبة الآية ٣٠)

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾

(الإخلاص الآيات ١-٣)

* * *